

الحلقة السبعون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدة أمثال تناولت مواضيع عديدة. فتكلمنا عن عدم أهلية الإنسان عندما يمدح نفسه. وأنه يجب أن لا نفتخر بالغد. وعن سلبيات الغضب والحسد. وأن التوبيخ مفيد لاسيما إذا أتى من شخص محب لنا. وأنه علينا جميعاً أن نؤثر إيجاباً على أصدقائنا. وكذا عن أهمية تنقية قلوبنا من الداخل.

هل نفتخر مستمعي بنفسك عندما تمدح؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "البوتقة لتنقية الفضة، والأتون لتمحيص الذهب، والإنسان يُحكم عليه بموقفه مما يكال له من مديح." (أمثال ٢٧: ٢١ تفسيرية) فكما أن الفرن ينقي الفضة، والأتون يكشف معدن الذهب، هكذا المديح يكشف حقيقة الإنسان. فإذا افتخر الإنسان متعظماً عندما يُمدح فهذا دليل على ضعف شخصيته من الداخل. بينما إذا تواضع وأقرّ في نفسه بأنه كباقي الناس لديه مزايا ومؤهلات جيدة تقابلها أشياء سلبية. فإنه يكون قد كشف عن سمو شخصيته من الداخل. أي أن المديح هو الميزان الذي يكشف حقيقة الإنسان.

هل ضعت صديقي يوماً في مدينة جديدة عليك؟ وماذا كان شعورك؟ إن الضياع أمرٌ صعب، لا سيما إذا كان الإنسان ضائعاً في مدينة غريبة، إذ يسيطر عليه شعور بالعجز وال فشل. ولقد عبّر الحكيم عن هذه الحالة عندما كتب قائلاً: "الشارد عن موطنه، كالعصفور الشارد عن عشه." (أمثال ٢٧: ٨ تفسيرية)

هل تقبل النصيحة والإرشاد مستمعي؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "الطيب والبخور يفرحان القلب. ومسرّة الصديق ناجمة عن المشورة المخلصة." (أمثال ٢٧: ٩ تفسيرية) فكما أن الطيب والبخور يفرحان القلب، هكذا يسرّ الصديق بالمشورة الصالحة، لأنها تساعد في حياته اليومية.

هل تعرف مستمعي أهمية الحفاظ على علاقة الصداقة التي تقيمها مع الآخرين؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "لا تتخلى عن صديقك وعن صديق أبيك، ولا تذهب إلى بيت قريبك في يوم بؤسك، وجار قريب خير من أخ بعيد." (أمثال ٢٧: ١٠ تفسيرية) هذه نصائح عملية هامة يقدمها لنا الحكيم. فعلى المرء أن لا يتخلى عن أي صديق له أو لعائلته، لأننا قد نحتاج الصديق في يوم ما. وكما يقول المثل العربي: الصديق في وقت الضيق. وفي هذا المجال أيضاً إن الجار الذي يسكن بقرنا هو أفضل من أخ بعيد عنا. لأن الجار يقدر على مساعدتنا الفورية.

هل تبتعد مستمعي عن الشر إذا أبصرته قادماً؟ أم تراك تحاول الاقتراب منه؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل فقال: "الذكي يبصر الشرَّ فيتواري. الأغبياء يعبرون فيعاقبون." (أمثال ٢٧: ١٢) أو بتعبير آخر إن ذا البصيرة يتجنب الشر عندما يراه قادماً، بينما الجاهل يتقدم إليه فيحصد النتيجة المؤلمة. من الذكاء إذن أن نحاول الابتعاد عن الشر قدر الإمكان عندما نراه آتياً. والمقصود بالشر هنا شر الفتنة. وفي المقابل من الغباء أن نقرب من الشر أو الفتنة، لأن شرارها لا بد أن يصيبنا، ويؤدي إلى نتائج وخيمة علينا. فهل لك أن تتعظ وتنتبه لهذا الأمر يا صديقي؟

وفي هذا المجال تحدّث سليمان الحكيم عن المرأة المخاصمة فكتب قائلاً: "قطرات المطر المتتابعة في يوم ممطر، والمرأة المشاكسة سيّان. من يكبح جموحها كمن يكبح الريح، أو كمن يقبض على زيت يمينه." (أمثال ٢٧: ١٥ و ١٦) شبّه هنا الحكيم المرأة المشاكسة أو المخاصمة كقطرات المطر المتتابعة التي تعكّر صفو حياتنا. وأن لا جدوى من كبح جماحها أي وضع حد لها. إذ محاولتنا هذه ستكون كحاولتنا الإمساك بالرياح أو بالزيت. إن الرغبة بالمخاصمة أمر فاسد سواء أتى من المرأة أم من الرجل، ولهذا علينا تجنبها.

وعاد سليمان الحكيم للحديث عن الكسلان فكتب هذه الأمثال: "قال الكسلان الأسد في الطريق الشبل في الشوارع. الباب يدور على صائره والكسلان على فراشه. الكسلان يُخفي يده في الصّحفة ويشقُّ عليه أن يردّها إلى فمه. الكسلان أوفر حكمة في عيني نفسه من السبعة المجيبين بعقل." (أمثال ٢٦: ١٣-١٦) يقدم الكسلان أعداءً كثيرة لكي لا يذهب إلى العمل، فيزعم بوجود مخاطر كثيرة في الطريق، وهذه الأعداء تتنوع بحسب البيئة التي يعيش فيها. ومن صفات الكسلان أنه يرغب أن يبقى في فراشه، أي يظل عديم الحركة. حتى تناوله للطعام المفيد لجسمه يكون بطيئاً. لكن الغريب في الأمر أن الكسلان يعتبر نفسه أكثر حكمة من سبعة أشخاص يجيبون بعقل. وعدد سبعة هو عدد الكمال في الكتاب المقدس. وكأن الكسلان يقنع نفسه أنه كامل في حكمته. وهذا يؤكد أن الكسلان هو كالجاهل المفتخر بجهله.

مستمعي الكريم، كثيرون منّا لا بد أن جرّبوا الشبع والجوع في حياتهم. فعندما يشبع الإنسان لا يستطيع حتى أن ينظر للأكل. وعندما يجوع يأكل ما يقدم إليه بنهم حتى ولو كان مرّاً وطعمه غير محبب لديه. وحول هذا الموضوع كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "النفس الشبعانة تدوس العسل وللنفس الجائعة كل مرّاً حلوً." (أمثال ٢٧: ٧) فعندما يشبع الإنسان حتى العسل الطيب المذاق يرفضه إذا قدّم إليه، بينما عندما يجوع يأكل حتى الطعام المر.

هل تعلم مستمعي أنه كما أن جسد الإنسان يجوع ويشبع، هكذا روحه أيضاً؟ لهذا نرى الإنسان يركض وراء شهوات العالم الفانية وملذاته الفاسدة، لأن روحه تكون جائعة وعطشى. مع العلم أن هذه الأشياء لن ترويه بل تجعله يشعر بالمزيد من الجوع والعطش. بينما عندما تشبع روح الإنسان وترتوي، نراه يزدري بملذات العالم الفانية ويتغلب عليها.

لعلّ السؤال الآن: كيف بالإمكان أن ترتوي روح الإنسان؟ لقد أجابنا المخلص المسيح عن هذا السؤال الهام عندما قال: "كل من يشرب من هذا الماء - أي ماء ملذات العالم - يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية." (بشارة يوحنا ٤: ١٣ و١٤)

أجل مستمعي إن المخلص المسيح هو وحده القادر على إشباع روحك وإروائها. وعندما ترتوي وتشبع منه تستطيع أن تتغلب على شهوات العالم الفاسدة وملذاته الفانية. أي بتعبير آخر تدوس على عسل العالم كما قال الحكيم. فهل تراك تأتي تائباً عن ذنوبك ومؤمناً بالمخلص المسيح؟